نظرة خاطفة إلى شعر عمر بهاء الأميري

بقلم:الدكتور ان عبد الجبار
الأستاذ المشارك قسم العربية للماجستير والبحوث كلية فاروق

ولد الأستاذ بهاء الأميري الشاعر السوري بحلب الشهباء مدينة الأمير سيف الدولة والشاعر أبي فراس الحمداني ،والمدينة التي غرد فيها أبو الطيب المتنبي أجمل قصائده.تلقى دراسته الإبتدائية والثانوية في حلب ،ومنها إرتحل إلى باريس وإلتحق بجامعة سربون وتخصص في الأدب وفقه اللغة .ثم عاد إلى الوطن وإلتحق بكلية الحقوق بجامعة دمشق ونال شهادة المحاماة.بدأ حياته العملية مدير المعهد الإسلامي بدمشق،وقام بتدريس الإدب والعلوم الإجتماعية ،وحظي بحب الطلاب والدارسين وأعضاء هيئة الدارسين.ثم مارس المحاماة والقضاء،فكان محاميا وقاضيا مثاليا في الدفاع القضاء والعدل وإحقاق الحق وإبطال الباطل.ومن ثم عين سفيرا للبلاد في باكستان,حيث تعلم اللغة الأردوية وقرأ ديوان الدكتور محمد إقبال وتأثر به وبذل أقصى جهده لنشر اللغة العربية في باكستان.وطلب الأساتذة من سوريا وأعد معهم المناهج الدراسية ومقرراتها،ثم تقلد سفير مملكة العربية السعودية فكان سفيرا موفقل=ا ناجحا.وعاش في رحاب الحرمين الشريفينمتمتعا بنفحات قدسية مباركة وعاد إلى بلاده للتفرغ للبحث والدراسة والدعوة والتوجيه الإسلامى.

وكان يهتم بشؤون العرب والمسلمين وقضاياهم خاصة قضية فلسطين وشارك في معارك انقاذها عام ١٩٤٨ م .

وأخيرا سافرإلى المغرب وهو يحمل رسالة جديدة ، وأصبح أستاذا للأدب والحضارة والتيارات الحديثة في جامعة فاس ثم في دار الحديث الحسنية بجامعة القرويين ، فأفاد وانتج وخط قلمه السيال مؤلفات ودواوين وهي أروع ما كتب في عصره ،ودعي أستاذا زائرا في الجامعات العربية وإلاسلامية وألقى محاضرات وأحاديث وكلمات وقصائد ملؤها العلم والفضل والإيمان ،وشارك في المؤتمرات العالمية والندوات العلمية الدولية وكانت له فيها مساهمات مثمرة نافعة ، لايزال تقطف ثمارها الأوساة الأدبية والعلمية في البلاد العرب والإسلام .

لحق الأستاذ الأمير رحمه الله بالرفيق الأعلى في شوال ١٤١٤ م بالمملكة العربية السعودية و دفن بالبقيع في مدينة المنورة .

وكان من أعظم الشعراء في هذا العصر ، وله عشرون ديوانا ما بين مطبوع ومخطوط ومن أشهرها " مع الله "، "وألوان طيف " ،و"من وحي فلسطين " وأشواق وإشراق أبي " ،" وأمي " ، " وملحمة النصر " "والأقصى " "وفتح القمة " يتجلى في كل بيت من شعر ومقطوعة من ديوانه الفن الرفيع والجمال البديع والروحانية الشفافة والقدرة الشعرية النادرة . كل ما نجدها في شعر معاصريهس ، فإن الشعر اللدي قرضه الأستاذ الأميري كان صدى لقلبه ملؤه الحب والود والتجربة النفسية والهمساب القلبية الجياشة. يقول عمر بهاء الأميري في ديوانه مع الله:

كلما أمعن الدجى وتحالك — شمت في غوره الرهيب جمالك
وترائتلعين قلبي برايا — من جمال آنست فيها جمالك
وترامي لمسمع الروح همس — من شفاه النجوم يتلوالثنالك
واعتراني قوله وخشوع — وإعتواني الشعور أنى حيالك
ما تمالكت أن يخر كياني — ساجدا واجدا ومن يتمالك[1]

يقول الدكتور محمد إجتباء الندوي"ومن مميزات الأستاذ الأميري في جمال تعبيره وفنه أنه يأخذك معه بقصائده ومنظوماته إلى متحف فيها أجرام ورسوم ولكنها حية تتحرك وتتفاعل معك وأنت تراها كأنها معك تمشي وتجري وتناجي وتناغي،وتشغر بأنك مع أشياء بديعة نادرة جديدة لم تشعر عليها من قبل. "[2]وفي شعر الأميري نلاحظ التجديد والتركيز على الواقع ووقائع المجتمع ومشكلات البيئة والحكاية عن التجربة.وفي شعره "مع الله" نلاحظ هذه النزعات ولها الأثر الواضح في نفس القارئ والسامع إذ يقول:

"مع الله في الفلك النستطير وفي الشمس تجري إلى مستقر
مع الله في البحر ملح أجاج مع الله في سلسبيل النهر
مع الله في نسمات الريا ح اللواقح تخ[3]طر بين الشجر"

وله ولع خاصّ في أمة الإسلام وبخاصّة بفلسطين وقضيتها والنكبة ومكائد الإعداء وقد رآها بأمّ عينيه فنظم قصائد وصدرت باسم "من وحي فلسطين " . ويقول فيها :

فلسطين يا آية الله في الوجود ،ويا روضة من سناء
مقام " الخليل " وعز المقام وجلّ " الخليل " أبو الأنبياء
وحضن "البتول " ومحرابها ومهد " المسيح " صفي السماء
ومسرى رسول هدى العالمين معراجه الفذ يعلو العلاء.[4]

وفي ديوانه أيضا " مع الله " أودع مجموعة من أشعاره يتوجه بها إلى الله ويتوده أيضا إلى حالات نفسه : من رضاء وثورة وهدوء وقلق وإشراق وظلمة ورفرفة روحية وتوقد جسدي ،كلها ترانيم إلى الله وابتهالات، ورغبة حارة إلى الله ألا يتخلى عنه في أية حالة من حالاته ، حتى حالات الضعف والهبوط. وفي هذا الديوان نلاحظ أدبا صادقا وأسلوبا جديدا ونزعة إلى التطوير وفتح باب جديد في ميدان الأدب الإسلامي . وهو مثال للسمو الروحي والصفاء النفسي والإنفعال الوجداني بالفكرة الدينية الصادقة. وهذا يقع في ١٩٠ صفحة القطع المتوسط ، وقد طبع أنيقا وأخرج إخراجا جميلا يليق بشرف موضوعه، وأما القالب الشعري السائد الذي اختاره الشاعر للتعبيري أفكاره فهو قالب المقطوعة القصيرة وإن كان في الديوان حوالي إثني عشرة قصيدة طويلة ، وهو يتميز بالتجديد والواقعية في الفكرة والأسلوب والتجربة ، أيضا يتميز بالتجديد في المعاني والقالب وملاحظات متفرقة ، " فأما الفكرة فنعني بها الفكرة العامة للديوان ، والقضية الكلية التي يخدمها ويدعو إليها ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر الأفكار الجزئية المنبثة في كل قصيدة ومقطوعة فيه. إن الفكرة العامة للديوان هي من ناحية التعبير عن الصفاء الروحي ، والسمو النفسي ، ذلك السمو الذي يرينا كيف يصبح الطين .... تحت ظل الإيمان روحا رقيقة رفافة ، تسمو على كل الماديات ، وتغلب من نطاق الجذب إلى الأرض فتحلق في سموات الحب والسعادة بعيدة عن عالم الكراهية والشقاء ، قريبة من الملائكة وأرواح الصديقين."

وفي شعر الأميري تحس السمو والراحة والإطمئنان والإيمان الصادق . وهو يملأ قلوبنا الإيمان والرضا. وقراءة قصائده تعطينا عزاء في حالات الضيق والإضطراب، وهو يصف العلاج لكل داء نفسي

---

[1]"ديوان مع الله"نقلا عن الاستاذ عمر بهاء الأميري للبرفسور الدكتور محمد إجتباء الندوي، مجلة المجمع العلمي الهندي.يونيو ١٩٩٤ص:٣

[2]نفس المردع ص:٣

[3]مجلة المجمع العملي الهندي ص : ٣٣

[4]ملحق الرائد للأدب الإسلامي ربيع الأول ١٤١٤ ص : ٢٦

ويفسر تفسيرا مقنعا لما يبدو في الحياة متناقضا ، وللقضايا العلمية والفكرية التي قد تستعصي في كثير من الأحيان حتى على العلماء والمفكرين.

ويهدف الأميرى بديوانه إلى فكرة تصوير رائع للحقيقية الخالدة المركبة في طبيعة النفس البشرية ، وهي الصراع بين الغزائر الأهواء الدنيا وبين المبادئ المثل العليا . وهو يبين عن ضعف الإنسان إلى أبعد حد من قدارته الهائلة ، وكيف يستدرج الإنسان إلى طريق الخطيئة والإنحراف. ويصور استجابة النفس البشرية حتى توشك أن نقول أن لا قدرة للنفس الضعيفة على مقاومته ، ثم يصور لنا انتصارا للمبادئ على نوازع الشر ومهاوى الضلال تصويرا يجعلنا نوقد أن نفس المؤمن لا تهزم ، وأن الشيطان على الدوام يجثو في النهاية عند قدمي المؤمن الصادق في ضراعة ذليلة وتسليم مخذول. وقصيدته " ضراءة ثائر" ترينا هذا الجانب على خير جهوده كما أن مقطوعاته " شيطان" ، و" صراع " و" فتنة " وغيرها تبرزلنا هذه الناحية في قوة وروعة . فالأميرى من حيث ثقافته الحديثة ، ونزعته المتطورة الواعية يرى في معجزات العلم ومظاهر الطبيعة وغرائب الحياة والأحياء ، وقوانين الكون ونظامة البديع ، يرى في كل هذا مظهرا من مظاهر القدرة الإلهية ، وبرهانا على التدبير والعناية ، وقصيدته الرابعة " مع الله " ترينا نظرة المؤمن الصادق وشعوره بأن القدرة الإلهية تتجلى في كل ما يراه وكل ما يسمعه ، بل كل ما يحس به من حوله . وهو يعتني بالشعائر الدينية إعتناء بالغا كما نلاحظ في مقطوعاته " الكعبة " و" صلة " و" رب " مثلا:

" الكعبة الشماء في مذهبي قيمتها ليست بأحجارها
قدسية الكعبة في جمعها أمتنا من كل أقطارها
وأنها محور أمجادها وأنها مصدر أنوارها
وكعبة المؤمن في قلبه يطوف أنى كان في دارها ". [٥]

---

[٥] " الكعبة " ص : ١٥ انقلاعن " ملحق الرائد للأدب الإيلامي " ص ٢٨